

## الجرية وكيف تقرأ

بعد الانتهاء من المدرسة أو الجامعة يواجه الشباب مجتمعا قد يبعث فيه الجدل أو يبعث فيه التواني . فهو إما شارح ناشط إلى مواصلة الرقي الثقافي ، وإمامته منه راكد عنه . والثقافة خارج المدرسة أو الجامعة تتعدد وتتفاوت في قيمتها . فأقلها قيمة ولكن أكثرها عددا في الوقت الحاضر هو الدار السنائية التي تتجه بقوة نحو اللهو بل اللهو السخيف ، في حين كان يجب أن يكون القلم من أقوى أسباب التعليم والتنقيف .

وتليها محطة الاذاعة . وهذه بما لها من احتكار وبما تجدد من معاونة حكومية كان يجب أن تكون وسيلة للتثوير المتبع . ثم تلي ذلك الجريدة اليومية وسائر الصحف الدورية . وأخيرا وهو أكبرها قيمة وأقلها عددا الكتاب .

وتمتاز الجريدة اليومية بأن لها قوة غرس المادة . فهي من هذه الناحية تشبه الشاي أو القهوة بحيث يحس معتادها قلقا وضجرا إذا تأخرت عن معادها . وهي تمس الشئون العامة التي يجرى عنها الحديث مع الأصدقاء والمعارف . والرجل الذي لا يقرأ الجريدة تنقطع الصلة بينه وبين الحوادث العامة . وأقل النتائج لهذا الانقطاع غباوة وجهل بيدوان عليه في الحديث وأخطرها الجهل بالتطور العالمي وركود الذهن وانكماش الشخصية . وفي "مجتمع" البيت تجدد الجريدة أعظم فرصها للتثوير إذا قصدت إلى الخدمة العامة . فإن أعضاء هذا المجتمع الصغير يجدون فيها الموضوعات المختلفة لسمرهم بل لحوارهم ومناقشتهم . وهم يستثيرون بأخبارها وتعليقاتها وصورها . والبيت الآن هو الهدف الذي تقصد إليه الجريدة في العالم المتقدم حين تكتب ، وهو الذي تتحرى رضاه ونحاول إشباع أعضائه كل فيما يهوى . فان لربة البيت صفحة أو بعض الصفحة التي تحتوى ألوانا من المعارف عن صحتها وجمالها وعن تدير البيت والمطبخ وتربية الأطفال ومعاملة الزوج . وللأطفال كذلك صفحاتهم التي يجدون فيها حلما مشوبا بلهو . وكذلك الشأن في معالجة السياسة والتجارة والتعليم والزراعة . بل أحيانا الفلسفة والاجتماع . فان الجريدة تحاول أن تكون مدرسة عامة ، وماهى شاملا يجد فيه كل انسان المعارف المغرية وأخبار الساعة . ولكنها تتخاطب البيت قبل أى هيئة أخرى . وما يدل على هذا الاتجاه بعض المكلفات التي تقدمها للقراء ، فانها كلنا تقريبا مما تحتاج إليه ربة البيت أو مما تهتم له ربة البيت في اقتصادياتها المنزلية .

والصحافة والمجتمع يتبادلان التفاعل . فإذا كان المثل القائل " كما تكونون تكون صحافتكم " صحيحا فانه يمكن أن يقال أيضا " كما تكون صحافتكم يكون مجتمعتكم " لأن الصحيفة هي قبل كل شيء من الأعمال التي يجب أن تنظر إلى الربح . وقد تكون لها رسالة . ولكن هذه الرسالة ، إن لم يكن خلفها ما يؤيدها من حزب قوى أو جماعة مضحية ، لا تستطيع في الأغلب أن تجعل الجريدة أو المجلة تعيش بدون الاعتماد على الأساليب التجارية في الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء والحصول على أكبر عدد ممكن من الاعلانات . فإذا كان القراء في مستوى منخفض فإن الصحيفة لن تروج بينهم إلا اذا هبطت إلى هذا المستوى . وإذا كان للرأى شأن عظيم بين قراء الجريدة فانها أى الصحيفة تهتم بشؤونها كما نرى في جميع الصحف الأوروبية والأمريكية تقريبا . فإذا رأيت أن الرواج يصادف بعض المجلات التي تعنى بالقليل والقال فلا تلم هذه المجلة وحدها ، لأنها إنما تتحرى فيما تكتب ما يطلبه جمهورها . فإن أفراد هذا الجمهور يتسامرون ويتحدثون بالقليل والقال ، وهم لهذا السبب يشتركون المجلة التي تساهمهم في هذه النزعة ويقاطعون المجلة التي لا تزودهم بها . وقد رأيت الحكومات حتى الديمقراطية - أن تصد التيارات السيئة في الصحافة . فسنت القوانين في بريطانيا مثلا لمنع الجرائد من نشر التفاصيل الخاصة بقضايا الطلاق كما وضعت العقوبات الرادعة للقذف . وبذلك تهذبت اللغة وخت من الألفاظ النابية . ولهذا أثره لا في سعادة المجتمع الذي أمن أفراداه الفضائح ، بل أيضا في أخلاق الجمهور الذي يتعلم ألفاظ الحديث من لغة الجرائد .

ويجب أن تكون الجرائد حرة في التعبير عن آرائها حتى يثق بها الجمهور وحتى يجد فيها الرأى الناضج مكانه الذي لا يليه غير الذهن الحر . ولكن النظام الاقتصادي الذي يجعل الصحافة تجارة حرة خاضعة للزاحمة يجلبها في كل وقت تقريبا إلى الخضوع التام بل الأعمى للإعلانات التجارية والمؤسسات التجارية الكبرى . فلا تنتظر مثلا من الجريدة التي تعتمد في نفقاتها على ما يرد إليها من اعلانات تتصل بالأدوية المستحضرة أو بشركات التأمين أو الملاحة أو غير ذلك أن تتحدث عن خداع الجمهور بالأدوية المستحضرة أو عن ضياع أمواله في بعض شركات التأمين الزائفة أو غيرها . فيجب على القارئ أن يذكر على الدوام هذه الحال وهو يقدر الحرية المزعومة عند الصحف عامة . ولنا نقول هذا لكي نوجه اللوم إلى الصحف ، إذ هي لا يسعها أن تكون غير ذلك ، وإنما لكي ننبه القارئ إلى بعض النقصان للصحافة حتى يستطيع أن يقرأ أحيانا ما بين السطور وأن يتعرف إلى الخبر الغائب الذي حذف من الصحيفة كما يتعرف إلى الخبر الوارد فيها .

وقد كانت الصحافة منذ نشأتها قسمين : أحدهما صحافة الرأى والآخر صحافة الخبر . ولا يزال هذا الانفصال واضحاً في فرنسا حيث لا تزال جريدة الرأى ، التي يتولاها في المادة

رجل نابه الذكّر تصدر في أربع أو ست صفحات لا أكثر . كما نرى مثلاً في جريدة بوبليير أو الأكسيون فرانسييز . أما في بريطانيا العظمى فلا تكاد توجد جريدة يومية للرأى فتهط . فان الجرائد هناك الأسبوعية والشهرية تقوم بترويد القراء بالآراء الناصجة في التعليق على الحوادث والأخبار . ويكتب في هذه المجلات أكبر الساسة وأعظم العلماء والأدباء .

ولسنا نحتاج الى أن نذكر أننا نعيش في عصر الدعاية وأن لبعض الدول وزارات خاصة بالدعاية فيجب أن نحصر على أن نقرأ في تدبر وأن نعرف أن الرأى والخبر معاً عرضة للدعاية سواء من الحكومات أو من الأحزاب . ولذلك يحسن بكل قارىء ألا يقتصر على قراءة جريدة معينة بل عليه - اذا استطاع - أن يقرأ جريدة أخرى معارضة بل جريدة في لغة أجنبية وأن يوازن بين الواحدة والأخرى .

ويحسن بقارئ الجريدة لكي ينتفع بالقراءة أن يتعلم القراءة السريعة حتى لا تستغرق الجريدة معظم وقته . وذلك بأن يمرن نفسه على ألا ينطق بالكلمات ، وهو يقرأ لأن تحريك الشفتين أثناء القراءة معطل . والقراءة السريعة هي القراءة التي تجرى في صمت تام ، لا يتحرك فيها اللسان .

والمالوف أننا نقرأ في الجريدة أبواباً تعودناها ولا نكاد ننظر الى غيرها . ولكن من وقت لآخر يجب أن ننظر في هذا الذي أهملناه وأن نتعلمه . فإنا بذلك نستطيع مثلاً أن نقدر التيارات أو التطورات السياسية بقراءة الصفحة المالية لعلاقة المال بالسياسة . وهذا هو الشأن في الصناعات الأخرى المهملة .

ويجب ألا ننسى أن الجريدة لم تجعل للتوجيه وإنما جعلت للتنبيه . فلنأخذ منها معارفنا وأخبارنا ولكن يجب أن نفهمها على الوجه السديد الذي يلمح علينا الرأى الناصح والمناقشة النيرة مع زملائنا .

وفي هذه الأيام الفلقة والعالم ملتهب بالحرب بل بالحروب . يجب أن يقتنى كل منا أطلساً جغرافياً يرجع اليه من وقت لآخر . كما أنه يجب اقتناء تقويم الحكومة المصرية لكي نستخدمه في مثل هذا الغرض بشأن أحوالنا الداخلية .

ولعل من المستحسن أن نقرأ الجريدة في البيت . لا في القهوة أو النادي . حتى يشترك أفراد الأسرة في درسها وأن يجعلوا من موضوعاتها وأخبارها سمراً مفيداً .

وإذا لم يكن من الميسور جمع أعداد الجريدة فلا أقل من أن يقص كل منا الخبر أو المقال الذي يمتاز بمغزاه ويلصقه بدفتر يمدّ لذلك أو أن يجمعه في حافظة خاصة ويرتب هذه القصاصات أبواباً . فإن هذا العمل يجعله يقرأ بعناية ويفتح أمام ذهنه آفاقاً جديدة من الاهتمام المنير .